
المنهج الموضوعي في تبيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
(آيات الخلق أنموذجاً)

م.م علي عواد دويج

المشرف الأول : د. عليرضا طبيبي

استاذ جامعة اراك في قسم علوم القرآن و الحديث

المشرف الثاني : د.فاطمه دست رنج

الاستاذه المشاركة في قسم علوم القرآن و الحديث جامعه اراك

The objective approach in clarifying scientific miracles in the Noble Qur'an (the verses of creation as a model)

a-tabibi@araku.ac.ir
alidweech84@gmail.com
f-dastranj@araku.ac.ir

تمهيد:

تفردت ألفاظ القرآن الكريم و تعابيره و مدلولاته و تميزت عن باقي الكلام البشري بجوانب الإعجاز البياني التي أشار إليها العلماء و ألقوا الضوء عليها، فالقرآن الكريم له منهج متميز في عرض موضوعاته و شرحها و وضع محتوياتها و من الجوانب التي امتاز بها كتاب الله العزيز عرض الحقائق على ما هي عليه في الواقع بحيث يتمكن الإنسان من معاينتها و الاطلاع عليها و فهمها بعقله و قلبه و جوارحه حيث يبينها القرآن الكريم من كل جوانبها و يكشف ارتباطاتها و مقتضياتها و مع هذا الوضوح و الشمول لا يشعر الإنسان بالملل تجاه الحقيقية القرآنية بل يستشعر قربها و وضوحها.و المنهج الموضوعي أحد أهم المناهج التفسيرية التي ربطت بين الآيات التي تحمل موضوعاً أو قضية واحدة، حيث قام المفسرين من خلاله بشرح و تفسير آيات الإعجاز العلمي التي تحمل موضوعاً مشتركاً و منها آيات الخلق التي بينت عظيم قدرة الله سبحانه و تعالى و بديع صنعه في خلق السماوات و الأرض و البحار و الكائنات و الظواهرحيث ساهم المنهج الموضوعي في شرح هذه الآيات الكريمة و تفسيرها و تنوير العقول و إرشاد الناس و زيادة اليقين و الإيمان في نفوسهم و قلوبهم عندما يتمعنوا و يتفكروا بمدلولات و مقاصد آيات الخلق و معانيها.

Introduction:

The uniqueness of the words of the Holy Qur'an, its expressions and connotations and distinguished from the rest of the human speech aspects of the miracles graph that scientists pointed out and shed light on, the Holy Qur'an has a distinct approach in presenting its topics, explaining them and developing their contents .One of the aspects that characterized the book of God dear presentation of the facts as they are in reality so that man can preview and see and understand them with his mind and heart and limbs, where the Holy Quran shows them in all its aspects and reveals their links and requirements and with this clarity and comprehensiveness does not feel human pain

المنهج الموضوعي:

هو المنهج الذي يعنى بالجمع المنهجي للآيات ذات الصلة بموضوع معين و العمل من أجل توضيحها و تبيانها و ذلك بغية استخلاص رأي القرآن الكريم بهذا الموضوع، و بصورة أخرى: التفسير الموضوعي هو استقصاء آيات كتاب الله العزيز و التي تتعلق بأمر أو موضوع مشترك وإفرادها بالبحث في تفسيرها و توضيح ما تتضمنه من المعاني الكريمة [١].لم يكن المنهج الموضوعي منهجاً حديثاً جديداً كما يدعي البعض في أقوالهم بل أنه قديم سار عليه الكثير من قدماء الفقهاء و علماء الدين عندما عمدوا في تفسيرهم إلى تفسير و توضيح موضوع محدد من القرآن الكريم حيث كانوا يقومون بجمع كل الآيات الكريمة التي تتناول هذا الموضوع و يشرحون النظرة القرآنية له وفقاً لهذه الآيات القرآنية الكريمة، لكنه لم يظهر باسم "المنهج الموضوعي" حتى القرن الرابع عشر الهجري، و لا يمكن إغفال أن المنهج الموضوعي في التفسير و المنهج التحليلي منهجان متكاملان و خطوتان متلاحقتان لا يجوز أن توجد إحداهما دون أن تتبعها الثانية[٢].تبرز أهمية المنهج الموضوعي من عدة جوانب أولها أنه منهج يساهم في بيان الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم و ما يرتبط بها من معارف و علوم، و بيان اللطائف و الإرشادات و ذلك من خلال النظرة الكلية للسورة، و إيجاد الحلول لعدد من المشاكل و القضايا الحديثة بناء على المنطق القرآني، و من الجدير ذكره أن أهمية التفسير الموضوعي تكمن كونه أساس تأصيل الدراسات القرآنية و بيانها أمام الباحث بياناً قرآنياً منهجياً و تحرير تلك الدراسات و الأبحاث من رواسب و تأثيرات أفكار غير صحيحة و ليس لها صلة بالقرآن الكريم[٣].خصائص المنهج الموضوعي:

- المنهج الموضوعي هو الأساس لتفسير القرآن الكريم بآيات من القرآن الكريم.
- يرتبط المنهج الموضوعي بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً حيث لا يتطرق و لا يناقش أي موضوع لم يوجد فيه.
- يوجد حلول و تفسيرات للقضايا الواقعية من وجهة نظر قرآنية.
- يستند إلى عمق النظر في دلالات و معاني الآيات الكريمة المتباعدة و التي تتناول موضوع واحد.

القرآن الكريم:لفظ القرآن مشتق من مادّة الفعل "قرأ" بمعنى القرء، أي الضم والجمع، و منه القول: قرأت الشيء، فهو قرآن، أي ألّفت بينه، وجمعت بعضه إلى بعض، وكانت العرب تقول: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط"، والمقصود من قولهم أنّ هذه الناقة لم تضمّ في رحمها جنيناً أو ولداً أبداً، ويقول الإمام أبو عبيدة رحمه الله تعالى: أُطلق اسم القرآن على كتاب الله –تعالى لأنّه يؤلّف بين السور، و يضم بعضهم إلى بعض[٤].كتب الزركشي في تعريف القرآن الكريم : القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المُنزل على نبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المفتح بسورة الفاتحة، والمُنتهي بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر[٥].

ومعنى التعريف كما يأتي:

-القول بأنّه كلام الله تعالى، تمييزاً له عن سائر كلام المخلوقين من الإنس، والجن، والملائكة.

– و قال الرافعي :القول بأنه المنزل، قيد يخرج به الكلام الذي اختصّ الله تبارك وتعالى بعلمه، أو أوحاه إلى ملائكته الكرام ليعملوا به، وليس لينقلوه إلى أحد من الإنس، وذلك أنّ الله تعالى أنزل بعض كلامه على خلقه، واستأثر بالبعض الآخر، ولم يطلع عليه أحد[٦].

– أما القمي فقال : لقول بأنّه منزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) خرجت به الكتب السماوية التي نزلت على غيره من الأنبياء، كالتوراة المنزلة على نبيّ الله موسى (عليه السلام)[٧].

-القول بأنّه المعجز، كان للدلالة على أنّه المعجزة الخالدة التي نصر الله تعالى بها نبيّه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وتعرّف المعجزة بأنّها عمل خارقٌ للعادة، تختصّ بأفعال الله تعالى ، ويوقعه سبحانه وتعالى على يد نبيٍّ من أنبيائه، ليكون برهان صدق على دعوته ورسالته.

-المراد بالمنقول إلينا بالتواتر، فذلك لبيان أنّ القرآن الكريم نقل إلينا عن طريق جبريل (عليه السلام) ، ثمّ عن طريق النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ثم عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، حتّى جمع على عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأمر منه، ثم جمع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في مصحف واحد، وبلغة ولهجة واحدة.

المقصود بالتواتر، أي نقله جمع كثير لا يحصى عددهم عن مثلهم، واستحال عقلاً تواطؤهم واجتماعهم على الكذب، ويكون ذلك بصورة مستمرة، دائمة التواتر إلى يوم القيامة، ممّا يدلّ على اليقين الصادق، والعلم الجازم القطعيّ [٨].

إعجاز القرآن الكريم:

تحدى القرآن الكريم مكذبي النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بأن يأتوا بكتاب مثله أو بعشر سور من أمثال سوره، أو على الأقل بسورة كسور القرآن الكريم. وعدم إمكانية الإتيان بمثل هذا القرآن هو إشارة على إعجاز القرآن الكريم ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك عناصر أخرى لإعجاز القرآن الكريم، منها:

– فصاحة القرآن وبلاغته: من حيث ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وملاحظة مقتضى الحال. وقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين منهم بإعجاز القرآن المجيد، كالوليد بن المغيرة المخزومي وعتبة بن ربيعة، والطفيل بن عمرو وغيرهم.

– أمّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ما يؤكّد إعجاز القرآن البلاغي و الفصاحي و المضموني؛ أنّ الكتاب العزيز ظهر على يد الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم)[٩]. والقرآن الكريم يشير إلى هذه الأمور فيقول الله تعالى:**{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}**[١٠]، وفي آية أخرى يقول: **{قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}**[١١].

-التناسق وعدم الاختلاف: حيث إنّ القرآن الكريم وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاماً استغرق مدّة نزوله لم يطرأ على تناسقه وروحه أيّ اختلاف رغم الظروف المتباينة والحالات النفسيّة والمشاعر والأحاسيس المختلفة[١٢].

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:هو موضوع يتناول الموضوعات العلمية التي وردت في القرآن الكريم و التي تتعلق بالحقائق الكونية التي لم يكن البشر مدركين لها في زمن نزول آيات القرآن الكريم و التي وضحها و فسرها العلم فيما بعد، و يقول الكثير من علماء الدين و الفقهاء و الباحثين بمجالات علمية و معرفية أن القرآن الكريم يدل على معلومات علمية متعددة بمجالات مختلفة، و قد انتشر الاعتقاد أن كتاب الله العزيز عرض نظريات علمية قبل اكتشافها و التعرف عليها بعقود طويلة في مختلف أصقاع العالم الإسلامي[١٣].و للإعجاز العلمي في القرآن الكريم أشكال و صور متعددة منها الإخبار عن العلوم الحديثة و الحقائق العلمية فكان هذا الشكل من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إخبار سابق للظواهر العلمية الحديثة التي حدثت و تم اكتشافها في العصور الجديدة، و من أشكال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أيضاً الإخبار عن أحداث و غيوب ستقع في المستقبل القريب و البعيد، و الكشف عما يدور في نفوس الناس و خاصة الكفار المنافقين منهم[١٤].

و من أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[١٥]:

– نشأة الكون و تكوينه.

– انفصال السماوات عن الأرض.

– التوسع المستمر للسماء.

– الماء و الحياة و الظلمات المتعددة في أعماق البحار السحيقة و الأمواج التي تغشاها.

– دوران الأرض حول نفسها.

آيات الخلق: هي الآيات القرآنية الكريمة التي توجه الإنسان العاقل و تخبره عن خلق الله سبحانه و تعالى للسماوات و الأرض و ما بينها و تخبر عن بديع صنعه جل جلاله و عظيم قدرته اللامحدودة[١٦].تخاطب هذه الآيات القرآنية الكريمة العقل البشري و تدعو الإنسان إلى إعمال عقله و تحكيمه من خلال التفكر في كل ما خلق الله سبحانه و تعالى من مخلوقات و ظواهر كونية، كخلقه للسماوات و الأرض و البحار و الكائنات الحية و التفكير في كيفية استمرارها في العيش، فمن خلال إعمال العقل و التفكر في كل ما سبق نتوصل إلى حقيقة لا شك فيها و هي أن الله سبحانه و تعالى خلق هذا الكون له لتمشي الحياة في مسار معين و ليختبر الإنسان بما هو عليه فعله و ما هو مطلوب منه في حياته من طاعة و عبادة و تقوى...، فالإنسان يتطلع إلى ما صنع الله سبحانه و تعالى بعقولهم و ليس ببصره[١٧].و إن آيات الخلق تبين عظمة الله سبحانه و تعالى و تجعل الإنسان يعترف بوحدانيته جل جلاله لا شريك له و يتواضع لعظمته سبحانه لما في خلق الكون دلائل على حسن التنظيم و الدقة.و كما ذكرنا سابقاً إن آيات الخلق تدفع الإنسان إلى التفكر في خلق الله سبحانه و تعالى و جميل فعله و عظيم صنعه و هذا التفكر بحد ذاته له الثير من المحاسن و الإيجابيات نذكر منها[١٨]:

– التفكر في خلق الكون بكل ما فيه من كائنات و سماوات و بحار يكشف أسراراً كانت مجهولة و يقيناً قد يغيب في بعض الأحيان.

– يزيد من قوة إيمان المسلم و يرسخ يقينه بوحدانية خالقه و عظمته و يجعله مدر لمدى ضعفه و عجزه أمامه جل جلاله.

– التفكر بحد ذاته عبادة، كما أنه يفتح آفاق التعلم أمام الإنسان فيتسب من خلاله معارف و علوم جديدة تفيده في الحياة بشكل عام.

المنهج الموضوعي في شرح و تفسير آيات الخلق: كما تمت الإشارة في وقت سابق إن المنهج الموضوعي أحد أهم المناهج التفسيرية التي ربطت بين الآيات التي تحمل موضوعاً أو قضية واحدة، حيث قام المفسرين من خلاله بشرح و تفسير آيات الإعجاز العلمي التي تحمل موضوعاً مشتركاً و منها آيات الخلق التي بينت عظيم قدرة الله سبحانه و تعالى و بديع صنعه في خلق السماوات و الأرض و البحار و الكائنات و الظواهر الكونية حيث يقوم المفسر من خلال اتباع المنهج الموضوعي بجمع هذه الآيات و شرح الموضوع الذي تتناوله و تفسيره و بيان القدرة الإلهية في الخلق و التكوين و التي يقف أمامها الإنسان مدركاً لمدى عجزه و قلة حيلته أمام قدرة الخالق جل جلاله[١٩]، كما يساهم المنهج الموضوعي في شرح هذه الآيات الكريمة و تفسيرها و تنوير العقول و إرشاد الناس و زيادة اليقين و الإيمان في نفوسهم و قلوبهم عندما يتمعنوا و يتفكروا بمدلولات و مقاصد آيات الخلق و معانيها[٢٠].

آيات خلق الإنسان استطاع المفسرين و الفقهاء من خلال استعمال المنهج الموضوعي في التفسير أن يبينوا الإعجاز العلمي الموجود في آيات خلق الإنسان و ذل من خلال شرح مراحل الخلق عن طريق وضع الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذا الموضوع و التي تشرح تلك الظاهرة العلمية و تفسيرها تفسيراً علمياً منيراً، و مثال ذلك قوله سبحانه و تعالى: **{خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِين}**[٢١]، و قوله جل جلاله: **{وَ لَقَد خَلقنَا الإِنسَانَ من سُلَالَةٍ مِن طِين* ثمّ جَعَلنَاهُ نُطفَةً في قَرارٍ مكِينٍ* ثُمّ خَلَقنَا النّطفَة عَلَقَة فَخَلَقنَا العلقة مُضغَة فخَلَقنَا المُضغَة عِظَامَاً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحماً ثم أنشَأنَاهُ خلقَاً آخر فتبارَكَ الله أحسن الخالقين}**[٢٢] حيث أورد المفسرون في تفسير الآيات القرآنية السابقة أنها تخبر عن أدوار الإنسان و تنقلاته من بداية خلقه إلى ما يصير إليه، فأخبر سبحانه أن بداية خلق الإنسان من طين – النبي آدم عليه السلام – ثم خلق سلالته بقدرته من جميع أنحاء الأرض و هذا ما يفسر تباين أباع و أخلاق الناس بين سويّ صالح و خبيث منافق، ثم جعل سبحانه نطفة تخرج من بين الترائب فترن في قرار مين و هو رحم المرأة مستقرة محميّة من كل شيء، و بعد مضي أربعين يوماً أصبحت العلقة مضغة – أي قطعة لحم صغيرة – ثم خلق سبحانه من المضغة عظاماً شديدة الصلابة تخللت اللحم بحسب احتياج الجسم لها فأصبح العظم عماداً للحم و ذلك في الأربعين الثالثة ثم نُفخت الروح فيه و جعل له السمع و البصر و غيرها... فان خلقه كله حسن و خلق الإنسان بأفضل تقويم فهو من أفضل المخلوقات و أملها[٢٣].ففي خلق الإنسان إعجاز يدل على عظيم قدرة الله سبحانه و تعالى و بديع صنعه حيث جاءت الدراسات فيما بعد قدمت شروحاً و اكتشافات حول خلق الإنسان ان القرآن الكريم قد وضحها و بينها في وقت سابق.و يعتبر خلق الإنسان من آيات الخالق جل جلاله العظيمة خاصة عندما نعلم أن كل مرحلة من هذه المراحل يعتبر آية في حد ذاتها و إن إخبار الباري عز و جل عن هذه المراحل في كتابه العزيز يعتبر شكل من أشكال الإعجاز العلمي و خاصة أن العلم الحديث لم يتوصل إلى هذه المراحل إلا منذ سنوات ليست ويلة، **{فَاعتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبصَارْ}**[٢٤] و قد أورد المفسرين من خلال المنهج الموضوعي وجه من أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق الإنسان و هو تضمنه لعناصر خلق الإنسان الأول:

١- الماء: و هو العنصر الأول و الأهم الذي جعل الله سبحانه و تعالى منه كل شيء حيّ[٢٥]، و ذلك في قوله جل جلاله: **{وَ هُوَ الذِي خَلَقَ مِنَ المَاء بَشَرَاً فَجَعَلهُ نَسَبَاً وَ صهرَاً وَ كَانَ رَبّكَ قَدِيرَاً}**[٢٦].

٢- التراب: و هو ثاني عنصر من عناصر خلق النبي آدم (عليه السلام)[٢٧] فقال تعالى: **{إِنّ مثلَ عِيسَى عِندَ الله كَمثلِ آدَم خَلَقَهُ مِن تُرَاب ثم قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونْ}**[٢٨]و التراب من العناصر الأساسية في تكوين ل إنسان بعد النبي آدم (عليه السلام) فمن التراب النباتات و من النباتات الغذاء الذي ينتج الدم ثم النطفة فالجنين[٢٩]، قال سبحانه و تعالى: **{هُوَ الذي خَلَقَكُم مِن تُرَاب ثُمّ مِن نُطفَة ثُمّ من عَلَقَة ثمّ يُخرجَكُم طفلاً ثُمّ لتبلُغُوا أَشَدّكُم ثمّ لتكُونُوا شُيُوخَاً وَ مِنكُم مَن يَتَوَفّى مِن قَبل وَ لتبلُغُوا أَجَلاً مُسَمّى وَ لعَلّكُم تَعقِلُونْ}**[٣٠]**آيات خلق النباتات:**لا تتوقف الحياة على شكلها المعتاد عند البشر؛ بل حتى النبات أمم و أشكال و أصناف لا يعلمها جميعها إلا الله سبحانه، منها صغير الحم و منها الكبير و منها مستطيل الشكل و منهافسبحان الخلاق القادر العظيم الذي خلق هذه الأصناف المختلفة من أصل واحد! **{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}**[٣١]و قد خلق الله سبحانه أنواع الأشجار والنبات، و زينها بالزهر و الثمار ، و جعل أوراقها زينتها، و لباساً للثمار، و حماية لها من المضار التي تعيق كمالها، و هذا ما يفسر موت الشجرة إذا تجردت من أوراقها، و تفسد ثمارها و تصبح دون فائدة ولا نفع ، و يجعل الله -عز وجل- للأشجار كل عام لباساً جديداً يتألف من الأوراق[٣٢]و ما أكثر أوجه التشابه بين النبات و الإنسان في التكوين و النشأة! فإنّ تشكل ثمار الأشجار ، و تغيره من حال إلى آخر كتغير أطوار الجنين في بطن أمه؛ فبينما نجد الشجرة دون كساء عارية، ثم يكسوها الله سبحانه بالأوراق أجمل كسوة، ثم أطلع فيها حملها هشاً صغيراً، ثم هيّأ له غذاءه و ساقه في العروق، فتتغذى به كما يتغذى الطفل من لبن أمه، ثم رباه ونماه حتى استوى و نضج.فالله جعل الجنى المفيد حلو الطعم و المذاق من تلك الحطبة التي قد تبدو لا فائدة لها و لا نفع، في تلك الأرض القاحلة إن الذي خلقها يحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير: **{وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[٣٣]و في قول الله سبحانه و تعالى: **{سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المآء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثمرات...}**[٣٤]، كتب الكثير من المفسرين و علماء الدين أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يلفتنا وينبهنا إلى مسألة نراها دائما في صور متعددة، وهي أن الأرض تكون في بعض الأحيان قاحلة دون حياة، ثم يهل عليها بعض المطر بأمر من الله سبحانه و تعالى، و عندما ينزل المطر على الجبل، و بعد فترة قصيرة من نزول المطر نجد الجبل مخضر مثمر، فمن الذي جعل البذرة للنبات ذلك اليوم؟ إذن؛ فالنبات كان ينتظر هذه المياه، وبمجرد أن تنزل المياه يخرج النبات دون أن يبذر أحد بذوراً[٣٥] ولقد شبه سبحانه الحياة الدنيا بماء السماء دون ماء الأرض؛ لأن ماء السماء وهو المطر لا تأثير لكسب العبد فيه بزيادة أو نقص بخلاف ماء الأرض، فكان تشبيه الحياة به أنسب.وقوله: **{مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعامُ}**، فهذا النبات الذي نشأ وازدهر بفعل نزول المطر من السماء، بعضه مما يتغذى الناس عليه كالفواكه، وبعضه مما تأكله الأنعام كالحشائش والأعشاب المختلفة[٣٦]**{حَتَّى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ}**، تصوير بديع لما صارت عليه الأرض بعد نزول الماء عليها، وبعد أن أنبتت من كل زوج بهيج، حتى إذا استوفت الأرض حسنها و بهاءها وجمالها، و ازينت بمختلف أنواع النباتات ذات المناظر البديعة، والألوان المتعددة[٣٧].قال محمد جواد مغنية في تفسيره: وهو كلام فصيح، جعلت الأرض آخذة زخرفها وزينتها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها، وتزينت بغيرها من ألوان الزينة[٣٨]

ومن مشاهد القدرة الربانية في النبات و التي وردت في كتاب الله العزيز ما يلي:

أولاً: الخلق من العدم

قال الله تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}**[٣٩].

ثانياً: تنوع النباتِ والماءُ واحد

قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**[٤٠].

آيات خلق السماوات و النجوم من دون عمد:لم يقتصر القرآن الكريم على لون واحد من ألوان الاعجاز والتحدي، بل تعددت أوجه الاعجاز فيه وتنوعت.و قد كشف المنهج الموضوعي في تفسير آيات الخلق عن إعجاز القرآن في تحدثه بلغة العلم أنّه يستعمل كلمات وأساليب لم تعد غريبة لأذواق معاصريه عند نزوله ولا مستنكرة نسبة لمعارفهم، وفي نفس الوقت فهمها جيل عصر الكشوفات العلمية، كل جيل بما يتلاءم والشوط العلمي الذي ارتقى إلي[٤١].ففي قول الله سبحانه و تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}**[٤٢].وفي آية أخرى يقول الباري تعالى:**{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ...}**[٤٣].فذهن الإنسان في ذلك العصر يدرك أنّ الشيء المرتفع عن الأرض

لا بدّ أنّه يستند على قوائم «أعمدة» يرتفع عليها.فالسموات بنجومها وشمسها وقمرها مرتفعة، ولكن بأي شيء ترتفع وأين الأعمدة التي تثبّتها في هذا الفضاء، هناك أعمدة إلاّ أنّها غير مرئية، وكأنّ الآية تريد أن تقول أنّ السموات مرتفعة بعمد غير مرئية.فالآية الكريمة تشير إلى الجاذبية التي اكتشفها نيوتن «١٦٤٢-١٧٢٧م» وتشير أيضاً إلى القوة الطاردة التي تحفظ للنجوم والكواكب والأجرام السماوية مواقعها وأبعادها عن بعضها، لأنّ الجاذبية لو عملت لوحدها لانجذب كل جسم نحو الآخر وأصبح الكون كله كتلة واحدة، إلاّ أنّ الكون ليس كذلك فكل جسم فيه له موقعه وكل نجم له بعده وفلكه[٤٤].**{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}**[٤٥]لذلك فإنّ القوة الطاردة عن المركز بتعادلها مع القوة الجاذبية تحفظ للأجسام توازنها وأبعادها ومواقعها، وهاتان القوتان تحكمان كل الأجسام من الذرة إلى المجرة، فالإلكترون مثلاً يدور حول نواة الذرة تجذبه النواة إليها وفي نفس الوقت فهو يبتعد عن النواة نتيجة للقوة الطاردة التي تطرده عن مركز النواة[٤٦].فلو انفردت القوة الجاذبية في التأثير عليه لالتصق بالنواة وأصبح كتلة واحدة، ولو انفردت القوة الطاردة في التأثير عليه لانفلت منطلقاً بعيداً عن النواة، إلاّ أنّه بتعادل هاتين القوتين بقي محافظاً على بعده عن النواة فسبحان من حفظ الكون كلّه بهاتين القوتين غير المرئيتين.فالقوة الجاذبة عمود غير مرئي يشد الجسم، والقوة الطاردة عمود غير مرئي آخر يبعد الجسم، وهذا في كل النجوم والكواكب والأجرام والأجسام صغيرها وكبيرها فالسماء مرفوعة بعمد لا ترى.ولعلّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يشير إلى هاتين القوتين في حديثه الشريف عن النجوم حيث يقول: «هذه النجوم التي في السماء مدائن، مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة إلى عمودين من نور»، وفي رواية «إلى عمود من نور[٤٧].وما أروع هذا التعبير الذي لا يستوحشه إنسان ذلك العصر وينطبق تماماً مع مكتشفات العصر الحديث فالجاذبية نوع من أنواع الطاقة والنور أيضاً نوع من أنواع الطاقة، ثم إنّ الامام الرضا (عليه السّلام) يكشف حقيقة هذه الأعمدة غير المرئية لما لا يدع مجالاً للشك أنّها هي المقصودة.

الخاتمة :

الحمد لله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، و ندعو الله أن يقوينا و يثبتنا على التنوّر و النهل من علوم كتابه العزيز ، حيث أنّ القرآن الكريم ليس فقط كتاب مقدس يصلنا بخالقنا و حسب ، إنّما أنزله الله تعالى بعظمة عرشه مليئاً بالإعجاز زاخراً بالعلوم و المعارف التي يعجز العقل البشري عن الإتيان بمثلهافلم يبقَ علم من العلوم إلّا و ذُكِرَ في كتابه العزيز ، كيف لا و قد علّم الله تعالى عباده من خلاله جميع العلوم و الأحكام و الشرائع ، فلم يكتفِ ذو الجلال و الإكرام بتنزيل الأحكام و الشرائع و تعاليم الأخلاق و الأساليب التربوية ، بل و تجاوزت العلوم المذكورة في التنزيل العزيز ذلك الحد من العلم بأشواط .فذكر الله تعالى علوماً كثيرة منها ما يعلّم الإنسان الطب و الحكمة ، فجاء في القرآن الكريم التكوين الإلهي للإنسان و كيفية خلقه ،حيث تناولنا في هذا البحث مجموعة من الآيات التي ورد فيها التكوين الإلهي للإنسان ، و كيفية خلقه و الإعجاز الكامن بين ثنايا هذه الآيات الكريمة ، كما و تناولنا مجموعة من الموضوعات التي تخصّ إعجاز القرآن الكريم كذكر آيات خلق النباتات و تفسيرها ، و كان كلّ ذلك في خلق المخلوقات الحية ، حيث لم يقتصر الإعجاز في الخلق على المخلوقات و إنما كان الإعجاز في خلق هذا الكون و تدبيره ، فتمّ ذكر بعضاً من الآيات الكريمة التي تناولت الإعجاز الإلهي في تكوين الكون و خلق النجوم و الكواكب .و ممّا تقدم في هذا البحث نجد أنّ معظم المفسرين توجهوا للمنهج الموضوعي في تفسير الآيات الكريمة المذكورة في هذا البحث ، و ذلك لجمع عدة آيات تتحدث عن موضوع واحد ألا و هو الموضوع المُتناول في هذا البحث و هو الإعجاز القرآني العلمي العظيم .

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

١. الصدوق ، محمد بن علي، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي- النجف الأشرف، ١٩٨٢م
٢. البرقي ، أبي جعفر ، أحمد بن محمد ، المحاسن ، دار صادر-بيروت، ١٩٧٩م.
٣. الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة، دار الحديث قم- إيران ، ١٩٨٥م
٤. ابن منظور ، لسان العرب ، دار الفكر- دمشق ، ١٩٧٠م
٥. زركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث- القاهرة، ٢٠٠٦م
٦. الرافعي، مصطفى، صادق، مباحث إعجاز القرآن، دار الملاك- النجف، ١٩٩٢م
٧. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، دار صادر- بيروت، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢١٨
٨. الزنجاني، أبو عبد الله، تاريخ القرآن، دار الأعلمي للمطبوعات- بيرت، ١٩٨٣م

٩. الرماني، علي، الراجعة في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر ،القاهرة،١٩٧٦م
١٠.النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي – بيروت
١١. البغوي، محمد بن الحسن بن مسعود ، معالم التنزيل ، دار التراث– القاهرة، ١٩٩١م
١٢.المشهدي، القمي ، تفسير كنز الدقائق ، وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران، ١٩٨٥م
١٣.الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨م
١٤.الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٠م.
١٥.الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الاسلامي – قم ، ١٩٧٧م
١٦.الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، دار إحياء التراث العربي– قم ، ١٩٨٣م
١٧.الصافي، ملا محسن الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت، ١٩٧٩م
١٨.زاده، علي شاه علي، تفسير أبي الجارود و مسنده، دار صادر– بيروت، م١٩٦٧
١٩.القمي ، عباس ، سفينة البحار ، مؤسسة أسوة – النجف، ١٩٨١م
٢٠.المشهدي ، القمي ، تفسير كنز الدقائق ، وزارة الإرشاد الإسلامي– طهران، ١٩٧٨م
٢١.الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار التربية و التراث– النجف
٢٢.النجفي ، محمد حسن ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٨٥م
٢٣.الحلي ، محمد بن ادريس ، السرائر ، دار الفكر المعاصر– بيروت، ١٩٩٠م
٢٤.محمد، مروى، الظواهر الطبيعية و كيف تحدث، دار الكتب العلمية– بيروت
٢٥.وراد، عبد الكريم، الظواهر الطبيعية، دار الفكر المعاصر– بيروت، ١٩٩٥م
٢٦.بدر، عبد الرحيم، الكون الأحدب، دار الملاك– القاهرة، ١٩٩١م

هوامش البحث

---

[١] الصدوق، محمد بن علي، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي– النجف الأشرف، ١٩٨٢م ، ج٥، ص٥٦

[٢] البرقي، أبي جعفر، أحمد بن محمد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية– بيروت، ١٩٧٩م، ج٢، ص١٢٦ .

[٣] الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة، دار الحديث قم– إيران ، ١٩٨٥م، ج٣، ص٣٤٤

[٤] ابن منظور، لسان العرب ، دار الفكر– دمشق ، ١٩٧٠م، ج ٨، ص١٢٩.

[٥] زركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث– القاهرة، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٣٣

[٦] الرافعي، مصطفى، صادق، مباحث إعجاز القرآن، دار الملاك– النجف، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٥٧

[٧] القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، دار صادر– بيروت، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢١٨

[٨] الزنجاني، أبو عبد الله، تاريخ القرآن، دار الأعلمي للمطبوعات– بيرت، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٧٨

[٩] البرقي ، أبي جعفر ، أحمد بن محمد ، المحاسن ، دار الكتب الإسلامية– بيروت ، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٥٣

[١٠] سورة العنكبوت: الآية ٤٨

[١١] سورة يونس: الآية١٦

[١٢] الرماني، علي، الراجعة في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر ،القاهرة،١٩٧٦م،ط٣، ص٧٥

[١٣] النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ، ص٢٠٤

[١٤] البغوي، محمد بن الحسن بن مسعود ، معالم التنزيل ، دار التراث– القاهرة، ١٩٩١م، ج٤ ، ص١١٦

[١٥] مغنية ، محمد جواد، التفسير الكاشف، مكتبة المحبة – دمشق، ١٩٨٩م، ج٧ ، ص٣٨

[١٦] المصدر نفسه، التفسير الكاشف، ج٧، ص٥٥

[١٧] المشهدي، القمي ، تفسير كنز الدقائق ، وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران، ١٩٨٥م، ج٣ ، ص٤٨

[١٨] الطوسي، محمد بن حسن ، الاستبصار، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ١٩٩١م، ج٢ ، ص٢١٢

[١٩] الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨م، ج٣، ص٢٥٢.

[٢٠] الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٠م، ج٢، ص١١١

[٢١] سورة النحل: الآية ٤

[٢٢] سورة المؤمنون: الآية١٢-١٣-١٤

[٢٣] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الاسلامي – قم ، ١٩٧٧م، ج١٩ ، ص٤٠.

[٢٤] سورة الحشر : الآية ٢

[٢٥] الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، دار إحياء التراث العربي– قم ، ١٩٨٣م، ج٣، ص١٩٤.

[٢٦] سورة الفرقان: الآية ٥٤

[٢٧] الصافي، ملا محسن الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٦٣

[٢٨] سورة آل عمران: الآية ٥٩

[٢٩] زاده، علي شاه علي، تفسير أبي الجارود و مسنده، دار صادر– بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٨٤

[٣٠] سورة غافر: الآية ٦٧

[٣١] سورة يس: الآية ٣٦

[٣٢] القمي ، عباس ، سفينة البحار ، مؤسسة أسوة – النجف، ١٩٨١م ، ج٥، ص١٦٥

[٣٣] سورة فصلت: الآية:٣٩

[٣٤] سورة الأعراف: الآية ٥٧

[٣٥] المشهدي ، القمي ، تفسير كنز الدقائق ، وزارة الإرشاد الإسلامي– طهران، ١٩٧٨م، ج٢، ص١٧٦

[٣٦] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار التربية و التراث– النجف ، ١٩٨٧م، ج٣، ص١٣٨.

[٣٧] النجفي ، محمد حسن ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٤١

[٣٨] مغنية ، محمد جواد، التفسير الكاشف، مكتبة المحبة – دمشق، ١٩٨٩م، ج٦، ص٩٤

[٣٩] سورة الشعراء: الآية: ٧، ٨

[٤٠] سورة الأنعام: الآية ٩٩

[٤١] الحلي ، محمد بن ادريس ، السرائر ، دار الفكر المعاصر– بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص١٤٩

[٤٢] سورة الرعد: الآية ٢

[٤٣] سورة لقمان: الآية ١٠

[٤٤] محمد، مروى، الظواهر الطبيعية و كيف تحدث، دار الكتب العلمية– بيروت، ج١، ص١٣٢

[٤٥] وراد، عبد الكريم، الظواهر الطبيعية، دار الفكر المعاصر– بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٧٥

[٤٦] بدر، عبد الرحيم، الكون الأحدب، دار الملاك– القاهرة، ١٩٩١م، ج١، ص٢١١

[٤٧] القمي ، عباس ، سفينة البحار ، مؤسسة أسوة – النجف، ١٩٨١م ، ج٤، ص٢٢٧